

بل إلى الأنفس فيقتلها، حتى الأرض التي نبتوا منها ، وشبوا عليها ، ونشأوا في أحضانها، هم وآباؤهم وأجدادهم يُخرجون منها إخراجاً .

وهذا ما أقسم القرآن على وقوعه للداعين إلى الله ، حيث خاطب بذلك المؤمنين ليوطنوا أنفسهم على الصبر الطويل فقال : ﴿ تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَكَلْتَمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنِ الَّذِينَ أُشْرِكُوا أَدَى كَثِيرًا ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١) .

ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه بمثل قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (٢) .

والأنبياء جميعاً يمثلون هذا النوع من الصبر . ولهذا حكى الله على لسانهم هذا القول رداً على أقوامهم : ﴿ وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ، وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣) .

وعزى الله خاتم رسله بما حدث لإخوانه من قبله فقال : ﴿ وَكَذَّبَتْ كُذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ (٤) .

ومن أتباع الرسل ذكر لنا القرآن هنا مثلاً رائعاً يتجلى فى سحرة فرعون ، حين وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فأعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون . وعندها قال لهم فرعون : ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ \* لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٥) .

فماذا كان موقف السحرة إزاء هذا الوعيد الهادر من ملك جبار يقول للناس : أنا ربكم الأعلى ؟

لقد وقفوا بإيمانهم الجديد كالجبال الشم ، متحددين جبروت فرعون ، مستعدين لكل ما يُرغى به ويُزبد ، سائلين الله تعالى أن يُفرغ عليهم صبراً يتحملون به العذاب راضين ، ويستقبلون به المكاره مطمئنين .

(٣) إبراهيم : ١٢

(٢) المزمل : ١٠

(١) آل عمران : ١٨٦

(٥) الأعراف : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤) الأنعام : ٣٤